

تغيّر شريان القلب؟ لا و الحمد لله، هل أنت مضطر أن تجري عملية جراحية في الدماغ؟ لا، فإذا كان الإنسان معافى في جسده هذا رأس مال، و رأس المال الثاني عندك دوام إلى الساعة الثانية ثم تتعدى و تنام بعد الظهر، و الباقي وقت فراغ، كيف تمضيه؟ في مجلس العلم أم على النرد؟ أو في غيبة ونميمة؟ أو متابعة مسلسلٍ ساقطٍ؟ نتائج معروفة و قصص مكرّرة، حثالة المجتمع كيف تمضي هذا الوقت؟ فالفراغ رأس مالٍ ثانٍ، وأنت لست ملاحقاً؟ تتحرك كيف تشاء و تسافر و تنتقل كيف شئت، فهذا رأس مال ثالث، الأمن، رأس مال رابع عندك قوت يومك، و حاجاتك الأساسية مغطاة، فهذه الرأسمالين الأربعة إما أن تنفقها استهلاكاً في المباحات و إما أن تستثمرها عند الله عز وجل، بمعرفته و معرفة منهجه و تطبيقه و الأعمال الصالحة التي تقربك إليه، فكل إنسان أنفق من رأس ماله خاسر أشدّ الخسارة، و كل إنسان أتلف رأس ماله أحمق أشدّ الحمق، أما الإنسان الذي يتاجر برأس ماله ليكسب ربحاً ينفق منه فهو الإنسان العاقل، لذلك قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (10)﴾

[سورة الصف]

التجارة لها رأس مال و لها ربح، فرأس مالك صحتك و فراغك و أمنك و كفايتك، أول شيء النجاة من العذاب الأليم، و ثاني شيء قال تعالى:

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12)﴾

[سورة الصف]

ومع هدية تشجيعية سلفاً، قال تعالى:

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾

[سورة الصف]

لذلك التجارة مع الله رابحة أشدّ الربح، و نحن في الأرض أرباح التجارة من العشرة إلى العشرين، و الصناعة من العشرين إلى الثلاثين و الأرباح الوهمية للنصابين سبعون بالمائة، و في النهاية يذهب رأس المال كلّهُ، أما من الممكن أن تتعامل مع خالق الكون و يعطيك عن الليرة مليون، و عن الليرة مليار، إلى أن ينتهي نفسك.

فذلك أيها الإخوة أردت من هذا الدرس الاستثنائي أن أدكر أنّ نعيم الصحة و الفراغ و الكفاية و نعيم الأمن هذه رأس مال الإنسان، الصحة هي الشباب و القوة و الحركة، فماذا تعمل بها؟ في طاعة أم في معصية؟ أم في هموم؟ و الوقت الفراغ ماذا تعمل به؟ في لقاءات فارغة و حديث فارغ و غيبة و

نميمة ؟ أم في طلب العلم ؟ أم في مذاكرة العلم ؟ أم في الجلوس مع الذي تثق انه ينقلك من حال إلى حال؟

أيها الإخوة الأكارم، العمرُ قصيرٌ، و هذا الذي يموت لو أن الدنيا كلُّها في يده، وجاءه ملك الموت ؛ يقول له: أعطيك كلَّ مال يدي على أن تتركني أبقي ساعة ! كي أستغفر الله !! وأصلي ركعتين ! لذلك مرَّ النبي عليه الصلاة والسلام بَقَبْرٍ، فقال صاحب هذا القبر إلى ركعتين ممَّا تحقرون

((فالنبي عليه الصلاة والسلام في حديث صحيح يقول: ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِعْمَتَانِ مَعْبُودٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ))

[رواه البخاري]

فإذا كانت معك قطعة ألماس ثمنها خمسة ملايين ورثتها من والدك، ولم تدر أنها من ألماس، فبِعْتَهَا خمسة ليرات ! ثمَّ عرفت الحقيقة، ماذا تفعل؟! ألا يشعر هذا الإنسان بالألم؟! ألا يندم أشدَّ الندم؟! باع الصِّحَّة والفراغ والأمن والكفاية بالكلام الفارغ، والمباحات والاسترخاء، وما عمِلَ عملاً صالحاً، لذا ورد أن المؤمن لا يندم يوم القيامة إلا على شيءٍ واحدٍ ؛ على ساعة مرَّت لم يذكر الله فيها، وكلِّما كُبر عقلُ الإنسان يحرسُ على العقل، وهو أتمنُّ شيء، أخذُ علمائنا وهو الشيخ بدر الدِّين الحسني مرَّ على مفهَى يلعبون النَّزْد، فقال: يا ليت الوقت يُشترى من هؤلاء فنشتريه منهم ! تجدُ المؤمن ليس لديه الفراغ، مشاريع وأعمال صالحة، وأعمال جلييلة وخيِّرة، وكلُّها تحتاج إلى الوقت الكثير، لذا تجده يقصد في الوقت، والإنسان الشارد التائه يُنفق الوقت جزأفاً، وفي أشياء تافهة ولقاءات تافهة، وبموضوعات تافهة، وساعات طويلة في الكلام الفارغ والبيوت والنِّساء، وقد قال عليه الصلاة والسلام

((فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ *))

[رواه أبو داود]

فأنا أنصح إخوتنا الكرام ؛ هذا الوقت هو أتمن شيء تملكه، وأنت كلَّك وقتٌ، وأتمن شيء تملكه، والله ذهبنا في الأسبوع القادم لتعزية شابٍ يحضر عندنا في المسجد مات بعد عرسه بخمسة وعشرين يوماً !! فالموت لا يعرف لا صغير ولا كبير، لذا إن جلست مع أهلك ذكرهم بالله واقرأوا قصصاً عن الصَّحابة، وإن كان لك وقتاً فارغاً فافقرأ فيه القرآن، وابحث في المفيد، لأن كل شيء ينتهي عند الموت هو خسارة، وكل شيء يستمر بعد الموت ربح، لذا رأس مالنا أربعة أشياء ؛ الصِّحَّة والفراغ والأمن والكفاية، وأرباحنا النَّجاة من عذابِ أليم، والمغفرة ودُخول الجنَّة، فإذا وصلت لهذا فقد ربحت لأشدَّ الرِّبح، فالرِّبح

ليس كثرة المال، والموت يُنهي كلّ شيء، فالأصل هو ما يدخل معك القبر، فدكاؤك، وفلاحك وتفوقك، وعقلك في أن تذهب لدار الآخرة ومعك أعمال صالحة تُغنيك عن الدنيا، وهنا قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(30) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ(31) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ(32)﴾

[سورة فصلت]